الدكتور:عبد القادر خربوش

صحفي بالمؤسسة الاعلامية للتلفزيون الجزائري القناة الاخبارية

ظهور الأطفال عبر التطبيقات ومواقع التواصل الاجتماعي

بين هاجس الاستغلال الاقتصاديللأطفال (رقميا) وبين حقهم في الترفيه

دراسة وصفية للظاهرة من خلال تطبيقي "الفيس بوك" و"تيك توك "

المحور الرّابع:الإعلامي والسينمائي

مقدمة:

المتابع اليوم لمحتويات ومضامين مواقع التواصل الاجتماعي والتطبيقات على اختلاف مسمياتها وأشكالها وخدماتها يدرك دون عناء أنكل فئات المجتمع أصبحت ممثلة فيه، من خلال عرض محتويات مختلفة تتراوح جميعها بين الترفيه والتثقيف والتعليم وفي كل المجالات وهذا تحصيل حاصل لهذه القفزة التكنولوجية الكبيرة التي شهدها الإنسان المعاصر والذي أصبح يسمى بالإنسان الرقميفي الأدبيات، والدراسات الأكاديميةإنسان أصبح يملك من الملامح والخصوصيات والاحتياجات النفسية والمجتمعة والمعرفية ما لم يملكه إنسان ما قبل ذلك.

تأتي اشكالية هذه المداخلة من هاجس المحتوى والمضامين وكيفية عرضها ومن يعرضهاويقدمها. إذ نشير هنا إلى نقطة لا يمكن أن نتجاوزها في هذا الباب وهي الأساليب والطرق التي تعرض بها هذه المحتويات، والتي في الغالب هي مشحونة وموسومة على أنهاابتذال وعل أنها طرقلا تخدم القيمة الجيدةولا الذوق الرفيع المحترم عموما. هذهالمعاني التي ضاعتحسب المختصين والدارسين لمضامين هذه التطبيقات والمواقع في سبيل تحصيل أمرين إثنين، أصبح الجميع يلهث وراءهمامهما كان الثمن ولو على حساب ثوابت كثيرة، الشهرة والمال.

الإشكالية:

بغرض الوصول إلى ماسبق و تحقيق هذين المطلبين وجدنا أن فئة الأطفال والطفولة لم تسلم من هذا الجنوح، فتم جرهم إلى عوالم هذه المواقع والتطبيقات رغما عنهم متجاوزين بذلك خصوصياتهم كاطفال قصر ودونما مرعاة سنهم البيولوجي وحتى النفسي ، لو تفهمنا الموضوع في بداية ظهور هذه المواقع وانفتاح الأسر والأفراد عليها بصفة عفوية وعلى أنه استجابة عادية من طرف الأوصياء على الأطفال لمتطلبات واحتياجات هذه الفئة باعتبارهم فئة من بين فئات المجتمع لكان الأمر عاديا ، غير أن الموضوع تطور وتحور وتحول مع مرور الوقت نظرا لهذا التطور المتسارع لهذه التطبيقات وما قدمته من خدمات ومغريات وعوامل جذب وجلب تحول الموضوع بموجبها إلى ظاهرة وجب الوقوف عندها دراسة

ومساءلة ...، خاصة إذا ما وقفنا عند ما توفره هذه المواقع والتطبيقات من سرعة في الانتشاروتحقيقا للشهرة والظهور وجني المكاسب الاقتصادية من وراء ذلك، أمور دفعت بالأولياء والأوصياءلأن يتسابقوا في تقديم وعرض أبناءهم عبر المواقع كشكل من أشكال السلع المربحة وليس كوجه من أوجه الترفيه (تشييء الطفل).(عبد الوهاب المسيري، 2009)

وهنا تأتي اشكالية الدراسة المنطلقة من محاولةضبط حدود هذا الخيط الرفيع الناظم للعلاقة بين الزاويتين .... فهل الأمر لا يعدو أن يكونترفيها ومسايرة للعوالم الافتراضية والتكنولوجيا أم أن الأمر أصبح هاجسا يرتبط بتحقيق ربح اقتصادي من وراء الأطفال،والاستثمار فيهم ولو على حساب حالتهم الصحية والنفسية؟

مفاهيم الدراسة:

بداية نجد أنّ جلّ المنظماتالعالمية والدساتير الدولية قد نصت صراحة على مسألة تجريم واستغلال الاطفال اقتصاديا، غير أنّ الجامع بينها اختزال الطفل في المهن والحرف التقليدية على اتساعها وكثرتها،مع إمكانية إضافة استغلال الأطفال في التسول وطلب الإعانات من الناس في الشوارع بناء على عرض الطفلفي حالة مزرية وفي وضعيات لا إنسانية.

نجد هذه المواد والقوانينتجرم هذا الاستغلال وفق التحديات والرهانات والمظاهر التي كانت تهدد الطفل في براءته وسنه وخصوصياته، وفق مراحل وتحديات واقعية حينها. غير أنّ اللافت لم تحيّن ولم تضمّن هذه التشريعات القانونية بمواد ترصد الحالات الطارئة على المجتمعات عموما والمجتمع الجزائري خصوصا، فيما تعلق بهذا الاستغلال الرقمي للطفل عبر المواقع والتطبيقات فالاستغلال الاقتصادي للطفل، ملمحه العام هو العمل الذي يضع أعباء ثقيلة على الطفل ويهدد سلامته وصحته ورفاهيته ويستفيد من ضعف الطفل وعدم قدرته عن الدّفاع عن حقوقه والعمل الذي يستغله عمالالأطفال كعمالة رخيصة بديلة عن عمل الكبارالعمل الذي يستخدم وجود الأطفال ولا يساهم في تنميتهم العمل الذي يعيق تعليم الطفل وتدريبه ويغير حياته ومستقبله.(وردة, بن موسى، 2017)

ونجد من بين التعاريف الضابطة للموضوع:

الاستغلال: هو الحالات التي يعتبر فيها الطفل في خطر ومن بين هذه الحالات تشغيله أو تكليفه بعمل يحرمه من متابعة دراستهأو يكون مضرا بصحته أو بسلامته البدنية أو المعنوية.(قانون حماية الطفل)

هذه الضوابط في هذه التعريفات هي نفسها تقريبا في كل قوانين حماية الطفل عالميا، ويمكن التأكيد على أنها أطلقت على الممارسات التي تسيء للطفل بجرائم حصرت تقريبا في التسول والتعامل مع الطفل ببيعه وشراءه، والمتاجرة بأعضائه او الاستعباد والإكراه والإهمال.

وعليه المتتبع لخطورة موضوع استغلال الأطفالاقتصاديا (رقميا)، هو وان كانت التعريفاتالسابقة للطفل كونه نافرا غير راغب، مكرها محبطا مضغوطا مكسورا، وهو يقوم بعمل الذي تمّ توكيلهله وكلف به، سواء من طرف الأوصياء عليه أو غيرهم. خاصة إن كان هذا في الصورة التقليدية الخطيرة.

فموضوع استغلال الطفل رقميا هوحالة الفرح والاستمتاع، والأمان الذي يشعر به الطفل وهو يقوم بالدور أو الأدوار التي طلبت منه لانه بين أهله وبين محبيه وفي بيئة يتحقق فيها فضاء يساعده على عدم الشعور بالخطر او الخوف،

(مسألة الإكراه والخوف في الأشكال التقليدية ومسألة الإقبال والرغبة في الأشكال الرقميةحالة نفسية وجب دراستها في علم النفس المعرفي)

وهذا يدخل ضمن مايسمى برشدية الطفل وهل يملك قرار الرفض إذا ما أدرك مألات مايقوم به وكيف سيأثر على حياته حقيقة، فقانون حماية الطفل أو قانون العقوبات وجب عليه سنّ قوانين تضبط تحريم هذا الاستغلال بمصطلحات ومفاهيم مضبوطة وصريحة وتحمل تحميل مباشر للفاعل والمرتكب لهذه الجريمة المسؤولية المباشرة على هذه الفعل.

التعريف الإجرائي:أي استغلال للطفل ولصورته ووضعيته مهما كان سنه من يوم واحد إلى غاية البلوغ، ولو كان على ذلك سبيل الإيجابية مادام أنّ المقصد هو تحقيق أكبر عدد من المتابعات والإعجابات التي ينجر عنها ربح مادي صريح أو غير صريح، مع تحميل المسؤولية للمقدم على العمل دونما البحث في النيّات.

- حقوق الطفل وفق الهيئة الوطنية لحماية وترقية الطفولة وإسقاطاتها على ظهور الأطفال في الفضاء الرقمي:

حقوق الطفل وفق الهيئة الوطنية لحماية وترقية الطفولة:الحق في الجنسية والرعاية الصحية والتعليم والتربية والعناية والحضانة وايضاً الحق في المعلومة المفيدة وايضا الحق في المشاركة وإبداء الرأي وايضا الحق في اللعب والترفيه.(الهيئة الوطنية لحماية وترقية الطفولة، 2016)

- مايهمنا هنا كيف يمكن الاتكاء على هذه الحقوق وما تحمله من مفاهيم واضحة ومشروحة ومحددة بدقة حتى يتمغلقبابالتأويل أمام من يريد الرجوع إليهامن أطراف تستعملها في تبريراستغلال الأطفالاقتصادي (رقميا)، بحجةً أنّالأطفالمن حقهم التعلم والتعليموعليه كل وصي يرى أنه من حقه أنيعلّم أطفاله هذه التقنيات والتكنولوجيات وأن منفتحا وان يكون له حضور في هذه التطبيقات والمواقعوان يقدم محتوى رقمي ومضامين معينةمثله مثل أقرانه من الاطفال في العالم وفي الجزائر، وهنا يقع اللبس بين حقهفي معرفة ماهو ضروري من التقنية دونما الحاجة والضرورة لان يكون متواجدا وفاعلا فيها، فالذكاء في الموضوع هو معرفة الخيط الرفيع الفاصل بين أن أعلّم أطفالي وان أربطهم بما توصل إليه إنسان اليوم من اختراعات تكنولوجية كبيرة ومايقدم عبرها من زخم معلوماتي لا متناهي ، دونما ان يكونوا جزء منه ودونما ان ينجرفوا ليقفوا فقط عند الأرباح المادية التي يمكن تحققها او تم تحقيقها من طرف اخرين وبالتالي: الوقوع في معضلة التجربة والتي أصبحت اخطر ما يهدد الأطفال والأوصياء عليهم عبر الفضاء الرقمي، **(أجرب ولن أخسرشيء)** وهو في الحقيقة يخسر نفسه ويفقد طفله أهم مرحلة في حياته.

- الحق في المشاركة وإبداء الرأي أيضا حق جعل منه الأوصياء حجة لحمل أبناءهم والجعل منهم متحدثين في كل المواضيع وفي كل الوضيعات. يقومون بهذا فقط لإظهار أنهم يحترمون وجهة نظر أبناءهم في موضوع ما، ولو قمنا بتفكيك الموضوع فهو لا علاقة له بالطفل ولا بالطفولة ولا بجانب من جوانب حياة الطفل...، فهل موضوع خروج المرأة للعمل صحته من خطئه يمكن أن يناقشه طفل دون سن العاشرة؟ هذا ما وقفنا عليهكمثال حي عبر مواقع التواصل الاجتماعي "فيس

بوك"،[طفل وسط جموع من الناس وهو يحاضر في الموضوع ويقرا من الورق امام جموع هو الأصغر سنا من بينهم]، هل المشاركة في إبداء الرأي تكون على هذا الوجه وبهذا الانفتاح الذي أغفل سن الطفل وحالته النفسية ووضعه الاجتماعي فرأي الطفل الآنهل سيكون هو نفسه بعد سنوات؟ ولكن نفهم الموضوع بسرعة عندما يذللّ البث أو المداخلة "لو أعجبتكم فلا تنسوا وضع لايك ومشاركة المحتوى حتى يصلكم الجديد".

- فمعضلة المأسسةلحقوق الطفل مع التفصيل في اسقاطها على حمايتهمن أن يستغل انطلاقا منها وهذا ما عمّ به الفضاء الرقمي.

- هل ظهور الطفل ايجابياوفي حالة مشرفة عبر المحتوى الرقمي يدخل ضمن تحقيق مبدأ الرفاهية والترفيه للطفل؟أم أنّ الضابط هنا العائد المادي الذي يكون وراء الموضوع؟وهنا وقفنا على أمثلة كثيرة انطلقت بالإيجاب وبمحتويات نافعة جيدة مشرفة ولكن تحت ضغط التواجد اليومي وضغط تحقيق المزيد من التفاعل وكسب المزيد من المتابعين حتى تحقق لنفسك فرصة الانتشار ومنه زيادة فرصة المداخيل المادية ...، هذه الضغوط النفسية والتي عادة تكون استجابة ايضا لضغط المجموعات والأصدقاء الحقيقين والوهميين دفعت ووصلت إلى تورط جملة من الأطفال و في مجالات عدة ألحقت الأذى بهم وبأسرهم وعائلاتهم وعرضتهم للمساءلة الأخلاقية والقانونية، والأمثلة أكثر من أن تحصر خاصة عبر منصة وبرنامج "تك توك" وللأسف نجد ان المباركة والتشجيع في البداية كانت من الأوصياء والنهايات يتحملها الجميع.

تمظهرات وتجليات الظاهرة على طفل اليوم:نسردها في نقاط عدة أشار إليها عديد الباحثين والمختصين:

- عندما نتحدث عن نظام أو نظريةالمتاهة التي تحكم الإنسان الرقمي اليوم عموما والطفل خصوصانتحدث عن طارئ وقع علينا دونما اختيار منا خاصة بعد جائحة كورونا ومافرضته وما ولدته من مفاهيم وحالات ووضعيات مجتمعيةمستجدة وهينتيجة حتمية للحجر الصحي الذي جمع الأطفال.(مي, عبد الله، 2020)، مع أفراد عائلاتهم لساعات وأيام طويلة تمخض عنها مظاهر وتمظهرات حملت الأطفال والأوصياء اقتحام الفضاء الرقمي ولو من باب الترفيه عن النفس ليكتشفوا عالم يمكن تحقيق الربح المادي منه فألقوا بأطفالهم اليه دونما وعي بالعواقب، خاصة وأننا نعلمان المتاهة في عالم الرقمنة تحكمها تعدد المنصات والتي غايتها واحدة، تحديات الأمنية، تحديات الخصوصية، كثرة المعلومات المضللة، التغير وعدم الثبات، غياب الثقة وعدم اليقين فما يقدم ويعرض متاهة رقمية يلقى اليها طفل بإدراكات معينة ووعي ونضوج غير مكتمل بالضرورة سيكون ضحية لأنه يستغل من طرف اصحاب هذه المنصات وبتشجيع مباشر من الأوصياء .

-حالة اللامعنى التي أصبح يعيشها الإنسان المعلمن اليوم وفق تعبير صاحب كتاب الخوف من الأفول.(سترينجر, كارلو، 2023، صفحة 36) هذا الإنسان الذي أصبح لا يعرف لنفسه قيمة إلا من خلال عدد المعجبين واللايكات، ولو اضطرّ لان يخضع نفسه لأبشع أنواع التنمروالسخريةوالمسبة...،هذا الإنسان بهذه الحالة أظهر ما يكون عند الشباب والأطفال الأكثر تواجدا في هذه الفضاءات الرقمية، والتي تعمل بكل ما لهما من قوة على جذبهم وجلبهم لرحابها وفق تصورات نفسية واحتياجات عمرية وهنا يصبح الطفل ضحية هذه المؤسسات الضخمة التي تستغله اقتصاديا ليكون هو الزبون في نفس الوقتحالة اللاّمعنى تتلبس الطفل فيصبح لا يحتكم إلا للقيمة الاقتصادية. والمكاسبالمادية المحققة من وراء ذلك.(سترينجر, كارلو، 2023، صفحة 56)

أكثر حالة نفسية تهدد الطفل والوصي عليه هي حالة الخوف المستمرة من الفشل والتراجععن مكسب تم تحقيقه، وبالتالي يصبح الطفل تحت ضغط الوقت المتلاحق دونترك الفرصة لغيره من الإزاحة او التفوق عليه وبالتالي خسارة ثقة المموولين وهنا بداية النهاية الخوف من الأفول يحمل الطفل صاحب المحتوى على تقديم تنازلات قد تطلب منه، حتى وإن تعلقتبمسائل الثوابت، والأعراف والقيم المجتمعية، مقابل أن يبقى في الواجهة وله حضور عبر هذه المنصات ووصل بكثير من الأطفال والشباب إلى التمرد، حتى على أوليائهم والخروج من البيت وهجر العائلة مقابل التواجد في هذا الفضاء الرقمي الذي حسب اعتقادهم قد حقق لهم شيء من احتياجاتهم النفسية والمجتمعية.

وهنا نتحدث عن الحياة المصطنعة غير الحقيقية والمفاصلة الشعورية بين حقيقة الواقع، ومتطلبات المواقع عادات تقاليد ثوابت رقابة مجتمعية أعراف كلها عوامل تمارس على الطفل نوع من السلطة لضبط السلوك وبين عالم افتراضي رقمي أصدقاء وهميين، حتى وإن كانوا يظهرون عالم متحرر قيم متداخلة فيصبح الطفل هنا يعيش انفصام رهيب في شخصية وهو يعيش بوجهين، لذلك تجده يميل للعزلة والانكفاء ومعادات الجميع في الواقع لانه ينتصر إلى عالم دفع إليه من أطراف معينة ولكن أصبح يحقق نوع من الرفاهية المادية والنزوات النفسية.

توصيات ومقترحات:

من الأمور الممدوحة في بلدنا أنها صادقت على الاتفاقيات الدولية التي تحمي الطفل من اي استغلال ووضعت من اجل تحقيق ذلك قوانين تنظم وترصد وتتابع حالة الطفل الجزائري ومن بين أكثر المظاهر الدالة على ذالك استحداث الهيئة الوطنية لحماية وترقية الطفولة المشاركة في هذا المتلقى بحكم الاختصاص والانشغال بحقوق الطفل وضرورة حمايتهم نقترح على الهيئة ما يلي:

- ✓ ضرورة الاعتماد على الذكاء الاصطناعي لتحديد المفاهيم الخاطئة والشائعة عبر الإنترنيت ومحاولة جمعها وحصرهاوإنتاج محتوى رقمي موجهة للأطفال والأولياء واشاعته عبر المنصات والفضاءات الرقمية لخلق ثقافة حقوقية تتعلق بحماية الطفولة.
- ✓ الوسائط الرقمية: إنشاء الهيئة الوطنية لترقية وحماية الطفولةمحتوى مرئيًا ومسموعًا (فيديوهات قصيرة، رسوم توضيحية، بودكاست،...)، بلغة تناسب الحال لغة شبابية وعصرية، يتم بثّها عبر اليوتيوب والفيسبوك وتيك توك، مما يجعل المضمونأقرب إلى فئة الأطفال والهيئات والفئات الناشطة في هذا الباب.
- ✓ المنصات الرقمية: استحداث مواقع إلكترونية ومنصات رقمية تفاعلية تتيحطرح الأسئلة، وتلقّي ردود علمية من باحثين متخصصين في الشؤون والعلوم القانونية والإعلامية والأمنية والسبيرانية وفواعل المجتمع المدنيويكون ذلك أيضا بالاعتماد على اللغات الأجنبية: ترجمة المواد التوعوية إلى لغات عدة، مما يساعد في توسيع الأثر العالمي للحملات وتقديم صورة واضحة لما يهدد الأطفال.
- ✓ الشراكات الرقمية: عقد شراكات مع مؤسسات تقنية وإعلامية لتوسيع نطاق التأثير والاطلاع على أحدث أدوات الاتصال الرقمي وكل ما ينتج من محتويات تتعلق بموضوع الأطفال والطفولة والمخاطر المهددة لهم.

في الختام يمكن القول ان الرهان فيما تعلق بحماية الأطفال من الاستغلال الاقتصادي الرقمي هو البعد القيمي في منظومتنا الدينية والتشريعية في ملامح عديد الايات القرانية والنصوص الشرعية (من السنة على كثرتها)نستحضر قول عمر ابن الخطاب: {عندما جاء إليه الرجل يشكوعقوق أولاده له وبعد ان تبين عمر من الموضوع قال: له عققتهم قبل أن يعقوك}

المصادروالمراجع:

- مي .عبد الله .(2020) .*متاهة التواصل الاجتماعي في الفضاء العام نظرية في فلسفة الاتصال في علم متغير* .بيروت :دار النهضة العربية.
- الهيئة الوطنية لحماية وترقية الطفولةمرسوم تنفيذي رقم334-16
- *ستر*ينجر ,كارلو2023 *الخوف من الأفول البحث عن المعنى في القرن الواحد والعشرين*مكتبة دار الخيال
- عبد الوهاب المسيريالانسان والشيء *مجلة البدر* 47
- قانون حماية الطفل *قانون 15-12المادة 2*الجزائر
- مي ,عبد الله .(2020) .*متاهة التواصل الاجتماعي في الفضاء العام نظرية في فلسفة الاتصال في علم متغير* .بيروت :دار النهضة العربية.
- وردة ,بن موسى2017الاستغلال الاقتصادي للأطفال *مجلة البحوث والدراسات القانونية والسياسية* 110